رؤية
حول السجال المذهبي

الشيخ حسن الصفار

رؤية
حول السجال المذهبي

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي ﴾

سورة الأنبياء ـ آية ٩٢

صدق الله العظيم

المحتويات



مدخل

الحوار المسؤول والمهاترات الطائفية



هذا الظرف الذي تمر به الأمة الإسلامية، هو من أشد الظروف حساسية وخطورة. فلم يحدث أن واجهت الأمة تحديات في عمق وخطورة ما تواجهه في الوقت الحاضر. صحيح أنه مرت على الأمة أوقات صعبة كانت تعيش فيها نكسات وهزائم، لكن ما يجري الآن هو الأشد خطورة وحساسية، حيث تواجه الأمة تحديات: خارجية عنيفة، و تحديات داخلية عميقة.

أما التحديات الخارجية فإن أبرزها هو أن القوة العظمى التي تسيطر على العالم اليوم الولايات المتحدة الأمريكية تقود معركة وصراعاً وصداماً مع الأمة الإسلامية. فهي تستخدم وتجيش كل قوى العالم بما في ذلك من مؤسسات دولية كمجلس الأمن والأمم المتحدة، وغيرها في حربها ضد الإسلام والمسلمين.

صحيح أن قادة أمريكا يقولون أن حربهم وصراعهم

ليس مع الإسلام والمسلمين، بل مع الإرهاب فقط، لكن الواقع الذي يجري على الأرض ونقرأ شواهده يدل على أنها تعيش حرباً مفتوحة على الإسلام والمسلمين في مختلف الأبعاد والجوانب.

ومن أبرز تلك الشواهد هذه التعبئة الإعلامية المحمومة ضد الإسلام والمسلمين. فخلال هذه السنة صدرت كتب ودراسات كثيرة تنال من الإسلام ومن المسلمين. لقد نقلت وسائل الإعلام على سبيل المثال كلاماً لأحد رموز الثقافة في الغرب وهو الكاتب البريطاني (نايبول) والذي أعطي جائزة نوبل للآداب هذا العام، أنه قال: «المسلمون مليئون بالحقد ولا يقبلون التعايش مع الآخر. والعرب أمة جاهلة لا تقرأ وهي تقف ضد الحضارة»، قال هذا الكلام مباشرة في اليوم الذي أستلم فيه الجائزة.

أما الكاتبة الإيطالية (بالاتشي) والتي وصفها وزير الخارجية الأمريكية الأسبق (هنري كسنجر) بأنها أذكى وأفضل صحفية في العالم، كتبت كتاباً قالت فيه: بأن المسلمين كلهم وبأجمعهم في أحسن حالاتهم متطرفون، وأن وراء هذا التطرف محمداً وقرآنه. وحينما يصدر هذا الكتاب يباع منه مليون نسخة.

والمذيعة الأمريكية المعروفة المشهورة بـ(لورا) تقول: «إن المسلمين أمة يربون أطفالهم في عمر السنة الثانية

والثالثة كيف يتطلعون لقتل الكفار (أي غير المسلمين)».

وقد سمع العالم تلك الكلمات التي أطلقها قس معروف في الولايات المتحدة عن الرسول ﷺ حينما وصفه بأنه أعظم إرهابي في التاريخ.

إن هذا الكلام وأمثاله إنما هو في الحقيقة شكل من أشكال الحرب والصراع مع الإسلام والمسلمين.

من جهة أخرى يتعامل الأمريكيون مع الإنسان المسلم في مختلف أنحاء الأرض، باعتباره شخصاً مشبوهاً، ومحلاً للريبة والشك. وتصدر الجهات الرسمية في أمريكا قوانين تخول لها اتخاذ إجراءات معينة تجاه مواطني الدول الإسلامية. فهم دون غيرهم يجري تفتيشهم بدقة وتعطيلهم لفترات طويلة ويتم استجوابهم دون رعاية أي حقوق وضوابط، وكل ذلك بحجة مكافحة الإرهاب.

أما المؤسسات العلمية أو الاقتصادية الإسلامية فإنها تتعرض من قبل الأمريكيين إلى ضغوط كثيرة فلقد تم تجميد أموال الكثير من المؤسسات الخيرية ومنعت نشاطاتها بحجة دعمها للإرهاب.

أما ما نراه من الصور التي تجري على إخواننا الفلسطينيين في فلسطين من إطلاق يد الصهاينة كي تعبث وتخرب كل ما يعود إلى الفلسطينيين، حيث يحتل شارون المدن ويهدم البيوت ويقتل الأطفال والنساء ويخرب المزارع

والممتلكات تحت سمع وبصر بل وحماية الأمريكان هو أيضاً دليل آخر على أن ما يجري ليس إلا حرباً ضد المسلمين بدءاً بالأراضي المقدسة في فلسطين. وإذا ما أراد أحد من الفلسطينيين أن يقاوم ذلك، اعتبره الأمريكيون إرهابياً.

كما أن أمريكا اليوم تعتبر كل البلدان العربية والإسلامية ساحة مفتوحة لنشاطاتها العسكرية، ويهددون بتقسيم البلدان العربية والإسلامية وإعادة صياغة خريطتها.

التحدي الداخلي:

ويتمثل التحدي الداخلي في التخلف العميق الذي تعيشه الأمة وهو الأخطر من التحدي الخارجي، بل هو الذي فتح الباب أمام التحدي الخارجي. فلولا تخلفنا لما تجرأ الأعداء علينا، ولولا فشلنا لما آلت أمورنا إلى هذا الوضع الذي نحن فيه.

ويكفي أن نطلع على التقرير الذي أصدره صندوق برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عن التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٢م، وفي هذا التقرير حقائق مذهلة عن الوضع الذي تعيشه الأمة العربية، حيث يصل عدد العرب إلى ٢٨٠ مليون نسمة موزعين على ٢٢ دولة، وهو يفوق تعداد الشعب الأمريكي الذي لا يتجاوز الـ ٢٦٥ مليون.

يتحدث التقرير عن الناتج القومي لكل الدول العربية

والذي يبلغ في العام الواحد ٥٣١ مليار دولار، بينما نجد أن دولة أوربية متوسطة كأسبانيا يبلغ الناتج القومي لها ٥٩٥ مليار دولار.

ومعدل نمو دخل الفرد العربي في العام ٠,٥٪، ومن أجل أن يتضاعف دخل الفرد العربي فإنه يحتاج إلى ١٤٠ سنة، بينما في البلدان المتقدمة يحتاج الفرد إلى ١٠ سنوات حتى يتضاعف دخله.

وهنالك ٦٥ مليون إنسان عربي بالغ راشد أمي لا يعرف القراءة والكتابة، وثلثا هذا الرقم من النساء، كما أن هنالك ١٠ ملايين طفل عربي في سن الدراسة ولكنهم خارج النظام التعليمي. ويصل عدد العاطلين عن العمل إلى ١٢ مليون، ونسبة الذين يلتحقون بالتعليم العالي لإكمال دراستهم هو فقط ١٣٪ بينما تصل هذه النسبة في الدول الصناعية إلى ٦٠٪.

وفي تقرير آخر لليونسكو، إن نسبة البحوث العلمية المطبوعة والمنشورة للدول العربية والإسلامية لعام ١٩٩٣م، شكلت فقط ١٪ من جملة البحوث المنشورة في جميع مجالات المعرفة. ويشير التقرير إلى أن عدد الباحثين في الوطن العربي هو ٨ آلاف باحث، بينما نجد إن في إسرائيل ٤٠ ألف باحث علمي مع العلم أن تعداد سكانها لا يتجاوز ٥ ملايين نسمة.

إننا في مواجهة هذه التحديات نحتاج إلى أمرين:

أولاً: التفكير في كيفية مواجهة هذه التحديات.

إن الهم الأول الذي يجب أن نعيشه ونجعله أولوية هو كيفية مواجهة هذه التحديات الداخلية والخارجية، ومن أجل ذلك يجب أن تعقد الندوات وأن تنظم الحوارات وأن تبذل الجهود، لأن العقل يأمر بذلك، فما دام الإنسان يواجه أخطاراً فعليه أن يفكر في كيفية مواجهتها والتغلب عليها.

ثانياً: توحيد إرادة الأمة ورصّ صفوفها لتجاوز تلك التحديات، لأن الخطر يهددنا جميعاً.

المهاترات الطائفية:

ولكن ماذا نجد في واقع الأمة؟

هل هناك سعي لتوحيد جهود الأمة وطاقاتها لمواجهة هذا التحدي؟

أين يقع ما نراه هذه الأيام في بعض القنوات الفضائية، من مجادلات مذهبية، من كل تلك التحديات؟

فبدلاً من أن تنشغل الأمة في مواجهة همومها ومشاكلها الرئيسة، تصرف طاقاتها في جدل مذهبي طائفي، يجذب إليه اهتمام الكثير من أبناء الأمة، والذين هم سريعو الاستجابة لمثل هذه الأمور، ذلك لأن الاهتمامات الأخرى

غير واضحة المعالم في أذهانهم. وإذا بك ترى المجالس والمنتديات تنشغل بالخلافات المذهبية العقيمة، وهي ليست برامج تتحدث عن سبل مواجهة التحديات التي تواجهها الأمة في هذا العصر، ليست برامج تتحدث عن خطط التنمية، وكيف تتجاوز الأمة الفشل والعجز الذي تعيشه؟، ليست برامج تخطط وتستثير الآراء والأفكار حول توحيد طاقات الأمة وجهودها، وإنما هي برامج تعيد الأمة إلى الوراء حتى تنشغل بالخلافات الماضية، وحتى تنشغل بالجدل المذهبي العقيم. ما هذا الذي يجري؟ لماذا نجد في هذا الوقت تصعيداً للنشاط الطائفي؟

كتب تنشر لتصعيد الفتن المذهبية، وفتاوى تتحدث بأنه يجوز للمسلم أن يتزوج بالمسيحية واليهودية ولكنه لا يجوز له أن يتزوج بالرافضية حسب تعبيرهم.

يعبئون وهذه التعبئة تجد صداها أيضاً عند الشيعة بصدور كتب وكتابات على شبكة الإنترنت تثير غضب إخوتهم السنة، ما ذا يريد هؤلاء بمثل هذه البرامج؟ ماذا يريدون بهذه الجهود؟ تتحدث بعض الصحف والجهات في أمريكا عن تقسيم أكثر البلدان العربية حتى بلاد الحرمين الشريفين.

ثم يأتي بعض المتطرفين القشريين ليثيروا هذه الفتن المذهبية، ألا يدل ذلك على أن هذه الجهود وهذه الأعمال إنما هي ضمن برنامج الأعداء لتفتيت هذه الأمة؟

عندما يتحدث الأعداء عن تقسيم وتفتيت هذه الأمة لابد وأن يخلقوا أرضية وأن يهيئوا الأجواء لهذا التقسيم والتفتيت، وذلك بإثارة الصراعات القومية والعرقية والمذهبية الطائفية، هذه هي الأرضية التي يريدها الأعداء لتنفيذ مخططات التقسيم.

ومن ناحية أخرى الإسلام متهم في الغرب بأنه يحرض على الكراهية، و يربي على الحقد، و يربي أبناءه على أن لا يتعايشوا مع الآخر، ولا يقبلوا الرأي ألآخر، وينبري المسلمون للردّ على هذا الاتهام وتنزيه الإسلام عن ذلك، ففي المملكة صدر بيان موجه للمثقفين الأمريكيين ووقع عليه جمع من علماء المملكة ومفكريها في الرد على هذا الاتهام للإسلام، من يقول أن الإسلام يحرّض على الكراهية، بل إن الإسلام دين حوار ودين تسامح، وفي مبادرة طيبة أقيم في الرياض مؤتمر حول حوار الحضارات، لإثبات أن الإسلام يرحب بالحوار مع الحضارات الأخرى، وأن في الإسلام سماحة تتسع للآخرين.

ولكن ماذا إذا أطلع الغربيون وهم مطلعون على هذه البرامج التي تبث حول الجدل المذهبي، وكيف أن الواحد يقول للآخر أنت كافر، أنت زنديق، أنت رافضي، أنت كذا.. أنت كذا؟ أليس في هذا مصداقية للدعايات وللكلام الذي يقولونه ضد الإسلام والمسلمين؟ أليس من حق الغربيين أن يقولوا: أنظروا فالمسلمون ليس فقط يعبئون

ضد من يختلف معهم في الدين؟ داخلهم أيضاً لا يستطيعون أن يتعايشوا مع بعضهم البعض، إنهم يربون أبنائهم على الحقد على بعضهم البعض.

إذن هذا الكلام الذي يقولونه في الغرب أن الإسلام يربي أبناءه علي الحقد والكراهية، يعطيه هؤلاء الطائفيون مصداقية وإثباتاً.

فهذه المهاترات الطائفية إنما تخدم دعاية الأعداء ضد الإسلام.

إلى متى تعيش الأمة هذا الوضع؟

لسنا ضد الحوار، أن يتحاور المسلمون في مذاهبهم المختلفة، وأن يطرح كل واحد رأيه، وأن يتجادلوا، فالجدال و المناظرة و الحوار العلمي شيء حسن، لكن هناك أمرين:

الأول: حول توقيت هذا الجدل، هل هذا وقت بحث هذه الأمور؟ هل الأمة الآن متفرغة لهذا الجدال؟

الآن الأعداء وهم يخططون لضرب العراق، ويهددون بقية البلدان العربية والإسلامية، وشارون يريد أن يقوم بحملات إجرامية عنيفة في الأراضي الفلسطينية، يصير حكي في أوساطهم نواجه رد فعل في الشارع العربي والإسلامي، ولكن هذه المناظرات وهذه البرامج تقول للأمريكيين والصهاينة أن الشارع العربي والإسلامي

مشغول بهذه المناقشات والجدليات العقيمة.

إن أساطيل أمريكا العسكرية تملأ المنطقة، وقادتها يهددون كل يوم باقتراب حملتهم العسكرية على العراق، والتي تنذر المنطقة بخطر كبير، على استقرارها السياسي، ووضعها الاقتصادي، ومستقبلها الاجتماعي، كما يواصل شارون مشروعه التدميري ضد الشعب الفلسطيني، دون أي رادع.

فهل هذا هو التوقيت المناسب لبحث هذه الأمور؟

الأمر **الثاني** ويتعلق بأسلوب الحوار وطريقته، هل هذا حوار علمي؟

هل هو حوار منطقي؟

الذي يجري إنما هو مهاترات، وتهريج لا يليق بالإنسان المسلم، إن القرآن يأمرنا في الحوار مع غير المسلمين أن يكون بالأسلوب الأفضل، وبأعلى درجة من الأدب واللباقة، يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1]، ويأمرنا باعتماد الدليل والبرهان في الحوار ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2]،

---

(١) سورة العنكبوت ـ آية ٤٦.

(٢) سورة البقرة ـ آية ١١١.

﴿**قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا**﴾[3]، الحوار ينبغي أن يكون علمياً وليس مهاترات.

هذه المشكلة المذهبية الطائفية التي تعيشها بعض المجتمعات الإسلامية، ينبغي على قادة الأمة من حكومات ومن علماء ومن واعين أن يفكروا في تجاوزها، أو لا أقل في تجميدها*.

---

(٣) سورة الأنعام ـ آية ١٤٨.

* محاضرة ألقيت بتاريخ ٢١ رمضان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٧نوفمبر ٢٠٠٢م في تاروت ـ القطيف.

مداخلات

عبر قناة المستقلة على برنامج:

الحوار الصريح بين الشيعة والسنة

مداخلة أولى*

إن الحوار بين المسلمين، وخاصة في هذه الظروف الخطيرة الحساسة، ينبغي أن يكون خطوة في طريق تجاوز الأمة لمشكلات التخلف التي تعيشها.

هذا التخلف الذي يتركز في جانبين:

الجانب الأول: التخلف العلمي، حيث لا دور يذكر للأمة الإسلامية العريضة، في مجال الإنجازات العلمية البشرية. فنصيب الدول الإسلامية بملايينها الألف، لا يتجاوز ١٪ من البحث العلمي المنشور، في جميع فروع العلم والمعرفة، كما جاء في إحصائيات اليونسكو عام ١٩٩٣م.

والجانب الثاني: التخلف في مجال العلاقات، حيث

* مداخلة ليلة الجمعة ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٣ يناير ٢٠٠٣م.

يعاني الوضع الداخلي للأمة من اضطراب في الجانب السياسي، والجانب الديني، فالعلاقات بين الحكومات العربية والإسلامية ليست على ما يرام، كما هو معروف، وكذلك بين كثير من الحكومات وشعوبها، وبين الحركات والقوى السياسية بعضها مع بعض، في العالم العربي والإسلامي.

وفي الجانب الديني هذا التشنج المذهبي الطائفي، الذي رأينا بعض مظاهره، عبر حلقات الحوار السابقة خلال شهر رمضان على قناة المستقلة، وداخل كل طائفة ومذهب هناك أيضاً اختلافات وتنوعات بينها تناقضات وتشنجات، كما رأينا كيف اتصل شخص ينال من الشيخ الخالصي، والمدرسة التي يمثلها ضمن الشيعة، وكذلك رد الشيخ الخالصي عليه. وهكذا في أوساط السنة، توجد مثل هذه التشنجات.

إن هذا التشنج السياسي والديني، يعكس عجزاً وتخلفاً في الوعي الحياتي، وفي القدرة على التعايش مع الاختلاف والتنوع.

فلا بد من الحوار الصريح والمفتوح، لتجاوز هذا التخلف، وهذا المأزق المعاش.

إن ثقافتنا الإسلامية متهمة الآن في العالم، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، بأنها تعصبية، تدعم الإرهاب

والتطرف. ويناضل المخلصون في الأمة لإبراز سماحة الإسلام وتعاليمه، في احترام الإنسان، والتعايش بين أبناء البشر.

ولكن واقع التشنج، والصراع الداخلي بين الجهات والقوى والمذاهب، يلغي كل هذه الجهود المخلصة، إذ كيف نقنع الآخرين من غير المسلمين، باستعدادنا للتعايش معهم، واحترام حقوقهم، مع عجزنا عن التعايش فيما بيننا؟! كيف نقنع الآخرين بأننا مستعدون لقبول الرأي الآخر، وللتعايش مع الأديان الأخرى والبشرية جمعاء؟!

إنني أؤيد وبقوة ما طرحه الدكتور خليل بن عبد الله الخليل عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، هذا الطرح طرح واع وواقعي.

وأرى أن الحوار يجب أن يكون من أجل التعارف الصحيح، بأن تعرف كل طائفة ما عليه الأخرى.. من خلال مصادرها، ومن خلال الرأي المقبول لديها.

رأينا في الحلقات السابقة، عبر قناة المستقلة، في شهر رمضان، كيف أن هذا الطرف الشيعي، أو هذا الطرف السني، يذكر بعض الروايات من تراث الطائفة الأخرى، حتى يدين بها هذه الطائفة، مع أنها روايات ومرويات شاذة وغير مقبولة، عند أكثر علمائها، ولكن من أجل إثبات التشنج، وإثبات حالة الصراع، يؤتى بمثل هذه المرويات،

وبمثل هذا الكلام، الذي يجب أن تتجاوزه الأمة، وان نتجاوزه كمتحاورين، وكما أوافق الدكتور خليل على أن الحوار هو للبحث عن القواسم المشتركة، ما بين المسلمين سنة وشيعة من القواسم المشتركة هو الأكثر. إن الاختلاف لا يطال إلا نسبة بسيطة في بعض الفروع والجوانب، أما الأشياء الأساسية فكلهم مسلمون متفقون عليها، فيجب أن نثبت هذه القواسم المشتركة، التي نتفق عليها، وليس من أهداف الحوار التبشير المذهبي، ماذا يفيدني أن أكسب عدة أشخاص من أبناء السنة، حتى يصبحوا شيعة؟ أو أن يكسب السني عدة أشخاص من أبناء الشيعة حتى يكونوا سنة؟ ونحن نشاهد كيف أن أبناؤنا ـ سنة وشيعة ـ يعيشون حالة من الانبهار بالفكر الغربي، وبالحضارة الغربية، المسألة ليست أن يصبح أبناؤنا سنة أو شيعة، المشكلة نحن مهددون أن نصبح ويصبح أبناؤنا عبيداً تحت هيمنة الغرب، وتحت هيمنة الآخرين. وأؤكد هنا على نقطتين:

النقطة الأولى: رفض اتهام الناس في أديانهم يقول تعالى: ﴿**ولاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا**﴾[٤]، لا يصح لنا أن نتهم الآخرين في أديانهم فللإسلام مذاهب وقراءات متعددة ومتنوعة ليست طارئة، فالمدرسة الشيعية والمدرسة السنية ليست وليدة هذا اليوم

(٤) سورة النساء، آية ٩٤.

ولا وليدة هذا العصر، و إنما هما مدرستان كانتا منذ العهد الإسلامي الأول. فلماذا تشكك هذه المدرسة أو يشكك أتباع هذه المدرسة في دين أتباع المدرسة الأخرى؟؟

فيجب أن نقر في البداية أن هناك تعددية في المذاهب، وتنوعاً في القراءات، ولكنها جميعاً ضمن إطار الإسلام الواحد.

النقطة الثانية: لا ينبغي أن تمس هذه الاختلافات المذهبية حقوق المواطنة وحقوق الإنسان، حينما يعيش مواطنون سنة في بلاد شيعية كما هو الحال في إيران، لا ينبغي أن تمس حقوقهم كمواطنين لأنهم سنة، وحينما يعيش جماعة من الشيعة في بلاد سنية ـ يعني أكثريتها من السنة أو المذهب الرسمي سني ـ لا ينبغي أن تمس حقوقهم لأنهم شيعة، ينبغي أن تحفظ حقوق المواطنة، وأن يعيش المواطنون متساوين في واجباتهم وحقوقهم، وكذلك لا ينبغي أن تمس حقوق الإنسان، الحالة الدينية حالة قلبية لا يمكن أن يكره عليها الإنسان، الله تعالى يقول ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[5]، ينبغي أن نؤكد على هذه الأمور.

وإنني أرجو أن يستمر الحوار بعقلية هادئة ومنفتحة، وأن يتمثل الأخطار الكبيرة التي تواجهها الأمة الإسلامية.

---

(٥) سورة البقرة، آية ٢٥٦.



مداخلة ثانية*

تمنيت وكثيرون من الغيورين على وحدة الأمة أن تكون هذه الجولة الجديدة من الحوار أفضل موضوعية، وأصح منهجية، من الجولة السابقة في شهر رمضان المبارك، حتى تخدم مصلحة الأمة وتكون أقرب إلى رضا الرب سبحانه، الذي ينادينا وحيه صبح مساء: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[6]، ويقول تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾[7]، ويقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾[8]

خاصة ونحن الآن على أعتاب موسم الحج العظيم،

---

* مداخلة ليلة الاثنين ٢٤ ذو القعدة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٧ يناير ٢٠٠٣م.

(٦) سورة الأنبياء، آية ٩٢.

(٧) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٨) سورة الأنفال، آية ٤٦.

والذي هو تأكيد ومظهر لوحدة هذه الأمة على اختلاف أعراقها وقومياتها ومذاهبها.

ولكن المؤسف هو وقوع هذه الجولة في سلبيات الجولة السابقة، حيث أخذت منحى إثارة الأضغان والحساسيات، ونشر الغسيل المسيء لما ورد في تراث السنة والشيعة، من روايات ومواقف متطرفة حادة، بفعل العوامل السياسية، والاتجاهات التعصبية عند الطرفين.

إنني أرجو من القائمين على الحوار السعي الجاد لضبط مسار الحوار، وأقترح اعتماد أفكار الدكتور خليل بن عبد الله الخليل عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود، أو نحواً منها لتكون إطاراً منهجياً للحوار، وأن لا يفسح المجال لطرح الإثارات الطائفية البغيضة، من طرف سني، أو شيعي، كتكفير أحد من أهل القبلة، سنة أو شيعة، وكالتشكيك في سلامة النص القرآني، أو الطعن في إسلام الصحابة الأجلاء، أو النيل من عرض رسول الله ﷺ، هذا الكلام القبيح المقزز، الذي يجب أن يبرأ منه كل مسلم. فلماذا يثار ضمن برنامج فضائي يشاهده الملايين في العالم؟!

إن أهم إشكالات بعض الحوارات والمداخلات الدائرة، هو انطلاقها من حالة التعالي وادعاء هذا الطرف أو ذاك أنه الأصل، وأن الآخر طارئ دخيل، وأنه هو الجهة التي تقرر إسلام هذا وكفر ذاك، فالسنة والشيعة مسلمون والحمد لله، لا تحتاج جهة منهم لأخذ شهادة حسن سيرة

وسلوك، أو صك براءة وغفران، من الجهة الأخرى. ينبغي أن نتجاوز هذا المنطق الوصائي المتعالي.

ثم لماذا تأخذ الحوارات منحى المحاكمة وكأن كل طرف يحاكم الآخر ويبحث عن أدلة لإدانته؟! إنه حتى في المحاكمات تدرأ الحدود بالشبهات، فلماذا الإصرار على التنقيب والبحث في ركام التراث القديم، لاستخراج شبهة يدين بها الشيعةُ السنة، أو السنةً الشيعة؟ وأذكر هنا مثالاً واحداً حول ما ذكر البارحة: من أن السيد الخوئي يرى كفر غير الشيعة، إنه افتراء واضح فالكلام الذي نقل عنه مبتور: إنه ناقش هذه المسألة في كتابه التنقيح في شرح العروة الوثقى، كتاب الطهارة، الجزء الثاني صفحة ٨٣ إلى صفحة ٨٧ وذكر القول بكفر المخالفين للشيعة، ثم رد عليه بالأدلة والبراهين، وانتهى إلى النتيجة التالية: قال ما نصه: «إن المناط في الإسلام وحقن الدماء والتوارث وجواز النكاح إنما هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسوله، وهي التي عليها أكثر الناس، وعليه فلا يعتبر في الإسلام غير الشهادتين، فلا مناص معه عن الحكم بإسلام أهل الخلاف». ثم يرد على من يقول بكفر غير الشيعة لأنهم ينكرون ولاية أهل البيت عليهم السلام بقوله ما نصه: «الضروري من الولاية إنما هي الولاية بمعنى الحب والولاء، وهم ـ أي السنة ـ غير منكرين لها بهذا المعنى، بل قد يظهرون حبهم لأهل البيت، وأما الولاية بمعنى الخلافة، فهي ليست بضرورية بوجه، وإنما هي مسألة نظرية، وقد فسروها بمعنى

الحب والولاء، ولو تقليداً لآبائهم وعلمائهم.. نعم الولاية بمعنى الخلافة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين».

فلماذا يبتر كلامه ويتشبث به لإثارة مسألة التكفير بين المسلمين؟!

ينبغي أن نكف عن هذا الأسلوب.. وأن يبحث كل طرف عن الأمور والجوانب التي يراها سليمة عند الطرف الآخر، لتشجيعها وتنميتها، على حساب الجوانب السيئة، التي يجب التعاون لتجاوزها والتخلص منها.

أيها الإخوة الأعزاء أوصيكم ونفسي بتقوى الله في وحدة هذه الأمة، وفي الحفاظ على ما تبقى من كرامتها. وهي الآن تواجه أخطر تحد في تاريخها مع افتعال صراع الحضارات.

وإذا لم يكن ضبط مسار الحوار ممكناً، فأتمنى إيقافه قربة إلى الله تعالى وخدمة لمصلحة الأمة.

مداخلة ثالثة*

هذه الحوارات والسجالات تضع المسلمين دائماً أمام التحدي الكبير في هذا العصر، وهو قدرتهم على تجاوز الجوانب السلبية في تراثهم.

فللأمة تراث ضخم، تتضمنه كتب الحديث والفقه والتاريخ والأدب، وفيه الكثير من كنوز الخير، ومنابع القوة، ويمكن للمسلمين إذا ما أخذوا بهذا العطاء الإيجابي من تراثهم، أن يحققوا الإنجازات الطيبة لأنفسهم وللبشرية جمعاء.

كما أن في هذا التراث بما يعكس من أداء بشري، فيما عدا النص الشرعي الثابت، من فهم النص وتفسيره، ومن أحداث التاريخ ووقائعه، أقول في هذا التراث جوانب

* مداخلة ليلة الأربعاء ٢٦ ذو القعدة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٩ يناير ٢٠٠٣م.

سلبية عديدة.

وخاصة في ما يرتبط بالموقف من الآخر المختلف دينياً أو مذهبياً أو سياسياً.

فقد تراكمت عند المسلمين سنة وشيعة، أراء عقدية وفقهية وتاريخية، تجاه بعضهم البعض، ناتجة إما من نصوص غير معلومة الصحة والثبوت، أو من فهم غير سليم ودقيق للنص، أو من وحي النزاعات والصراعات عبر أدوار التاريخ، والتي تلقي بظلالها على أفكار وثقافة المتنازعين.

والآن هل يريد السنة أن يحاسبوا الشيعة على كل ما في تراثهم من مواقف سلبية تجاه السنة؟ وهل يريد الشيعة أن يحاسبوا السنة على جميع ما في تراثهم من طروحات وممارسات تجاه الشيعة؟

إذن والله يطول الحساب بين الطرفين، وستحتاج القضية إلى سنوات طويلة. إنني أقترح أن يجعل الحوار ضمن إطار المستقبل، وما ينبغي أن يكون، وليس حول الماضي وما كتبه ذلك العالم، أو أفتى به ذلك الفقيه، أو تحدثت عنه تلك الروايات.

فكيف يجب أن تكون نظرة السنة إلى الشيعة، ونظرة الشيعة إلى السنة الآن؟ وليس ما أنتجته الفترة السابقة، من أحاديث تضمنتها كتب السنة والشيعة، وفتاوى لعلمائهم الماضين.

وما هو المشترك الذي يجمع الطرفين، الآن من خلال رؤية واجتهاد معاصر، وليس على أساس التبعية والتقليد للسلف؟

وهل هناك مصلحة دينية ودنيوية واحدة يتلاقى الطرفان من أجل خدمتها أم لا؟

أحبتي وإخوتي في الله من السنة والشيعة: إن السنة والشيعة اليوم ليسوا مخيرين بين حكم أبي بكر وعمر، أو حكم علي والحسين، ولكنهم أمام حكم أمريكا وهيمنتها، وهذه أساطيلها تزحف إلى المنطقة، وتريد فرض أوامرها وقراراتها، في أنظمة الحكم في بلادنا، وفي مناهج التعليم، وفي نشاط الجمعيات الخيرية، وفي قضايا المرأة، وما أشبه...

لقد قال أحد علماء الإسلام المصلحين قبل أكثر من نصف قرن: ما زلنا نتنازع هل أبو بكر خليفة أو علي خليفة، حتى أصبح المفوض السامي البريطاني هو الخليفة!. وما زلنا نتناقش في الوضوء عن غسل القدم أو مسح القدم، حتى لم يبق لنا في الشرق موطئ قدم!

من ناحية أخرى فإن الجوانب السلبية الموجودة في تراثنا جميعاً، تشكل خطراً على مستقبل أبنائنا وناشئتنا دينياً، حيث لم تعد عقولهم المنفتحة على تطورات العلم والعصر تقبل الآراء المتزمتة، والأفكار المتشددة، والمرويات السيئة.

إن تشويه صورة الإسلام، وصورة نبي الإسلام، وصورة أهل البيت والصحابة، إنما تستغل بعض ما في تراث المسلمين، فالبابية والبهائية استغلت بعض ما في تراث الشيعة، والكتابات التشكيكية الحديثة التي أصدرها أشخاص ينتمون عائلياً إلى أهل السنة، إنما يستغلون بعض ما في تراث السنة. فكتاب معروف الرصافي التشكيكي في النبوة والنبي، بعنوان (الشخصية المحمدية) وكتاب فاطمة المرنيسي المسيء عن زوجات الرسول ﷺ بعنوان (الحريم السياسي ـ النبي والنساء) وكتاب (شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة) لخليل عبد الكريم الذي يشوه صورة الصحابة في ثلاثة أجزاء. هذه الكتب كل مصادرها من كتب أهل السنة، كما أن كتب البهائية والبابية مصادرها من كتب الشيعة.

وهذا يعني أن على السنة والشيعة أن ينقحوا ويغربلوا تراثهم الإسلامي، وأن يجددوا عرضه بصورة مناسبة، ويقدموا له التفسير الموائم للعصر.

لا أن ينشغلوا ببعضهم. ويبقوا أسارى لما ورد في تراثهم من جوانب سلبية.

وهذا ما نرجو أن تسهم في إنجازه هذه الحوارات، وليس اجترار السلبيات لتكريسها، والتخندق من خلالها، وإشهارها أسلحة في الصراع المذهبي.

وأخيراً أهدي هذه الرواية من كتاب بحار الأنوار للشيخ المجلسي، كنموذج للإيجابية في تراثنا، والتي ينبغي أن لا تحجبنا عنها بعض الروايات ذات المنحى السلبي المتشدد.

عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «إنَّ للجنّة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيّون و الصدِّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصّالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرَّة من بغضنا أهل البيت»[٩].

(٩) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج٦٩ ص١٥٩.

اختلاف المذهب هل يمنع التزواج ؟

اختلاف المذاهب وتعدد الآراء ليس أمراً جديداً طارئاً في حياة المسلمين، فجذور هذا الاختلاف المذهبي نشأت في العقود الأولى للقرن الأول من تاريخ الإسلام، حيث ظهرت في أوساط الصحابة آراء متباينة حول تولي الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ فكان الإمام علي بن أبي طالب يرى نفسه أولى بالخلافة ومعه بنو هاشم ونفر من الأصحاب، بينما تمت مبايعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، في غياب علي ومؤيديه، مع أنّ الإمام علياً ومن معه بايعوا أبا بكر فيما بعد إلا أنّه تكوّن اتجاه موال لأهل البيت، يعتقد بأولويتهم وأحقيتهم، ثم جاء حكم الأمويين وما حصل خلاله من اضطهاد لأهل البيت وشيعتهم، بلغ ذروته في واقعة كربلاء سنة ٦١هـ، لتكرّس اتجاه الولاء والتشيع لأهل البيت في أوساط الأمة، وليتمايز الاتجاهان، الاتجاه العام والرسمي والذي أصبح يطلق عليه فيما بعد أهل السنة والجماعة، والاتجاه الموالي لأهل البيت والذي

أخذ فيما بعد عنوان التشيع والشيعة.

كما ظهرت ملامح اتجاه ثالث أثناء خلافة علي عليه السلام، على أثر قضية التحكيم في واقعة صفين، هو اتجاه الخوارج، الذين عارضوا التحكيم بعد حصوله، وتمرّدوا على حكم الإمام علي عليه السلام.

كل هذه التوجهات ارتسمت ملامحها في النصف الأول من القرن الأول للهجرة، وفي منتصف القرن الثاني بدأ ظهور المدارس الكلامية، والمذاهب الفقهية، كمدرسة أهل الحديث وأهل الرأي، والأشاعرة والمعتزلة، ومذاهب أهل السنة المختلفة، وتشعّبت الاتجاهات لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام.

وبمرور الزمن وبفعل العوامل السياسية، والمناظرة والتنافس والبحث العلمي، تجذّرت المذاهب والتوجهات الرئيسية في الأمة، وتلاشت أو ضعفت بقية الاتجاهات.

تعدد في إطار الوحدة:

لكن تعدد المذاهب والتوجهات في تلك القرون الأولى لم يؤثر على وحدة كيان الأمة، ولم يصنع الحواجز الاجتماعية بين أتباع تلك المذاهب والتوجهات.

وذلك لأن المبادئ الإسلامية للدين، والمعالم الرئيسية للشريعة كانت تعتبر حداً جامعاً وإطاراً مشتركاً، يستوعب

تعدد المذاهب والاتجاهات، فالجميع يؤمنون بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالآخرة معاداً، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلة، ويلتزمون بسنة الرسول ﷺ ويقيمون الصلاة بفرائضها الخمس، ويؤتون الزكاة، ويصومون شهر رمضان، ويؤدون فريضة الحج في وقتها المقرر، ويتفقون على تحريم الخمر والزنا والربا وسائر المحرمات المعروفة بين المسلمين.

أمّا اختلاف الرأي في بعض التفاصيل العقدية والفقهية، أو تباين المواقف السياسية، فلا يصح أن يحول الأمة إلى كتل منفصلة عن بعضها.

وكان التزواج والتداخل في الأحساب والأنساب مظهراً من مظاهر وحدة المجتمع الإسلامي واندماجه، حيث لم تكن الاختلافات حائلاً ولا حاجزاً دون ذلك، لكن ظروف التشاحن المذهبي، التي عاشتها الأمة فيما بعد، أوجدت ميلاً إلى القطيعة والتباعد الاجتماعي بين أتباع المذاهب، فحصلت فتاوى التكفير، وتحريم التزاوج بين المسلمين عند اختلاف مذاهبهم.

المسلم كفؤ المسلمة:

يؤكد الفقهاء على أن الأصل جواز التزواج بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم، فالمسلم كفؤ المسلمة. قال المحقق الحلي (٦٠٢ـ٦٧٦هـ) في شرائع الإسلام: «الكفاءة

شرط في النكاح وهي التساوي في الإسلام، وهل يشترط التساوي في الإيمان؟ فيه روايتان أظهرهما الاكتفاء بالإسلام، وإن تأكد استحباب الإيمان، وهو في طرف الزوجة أتم، لأن المرأة تأخذ من دين بعلها»(١٠).

وقال الشيخ محمد الحسن النجفي في الجواهر بعد مناقشته للآراء والروايات التي يظهر منها المنع من التزاوج بين الشيعة وغيرهم، قال ما نصه: «المدار على الإسلام في النكاح، وإن جميع فرقه التي لم يثبت لها الكفر بنصب أو غلّو أو نحو ذلك ملة واحدة، يشتركون في التناكح والتوارث وغيرهما من الأحكام والحدود»(١١).

وقال الشيخ محمد جواد مغنية: «الكفاءة بين الزوجين عند الإمامية هي الإسلام، وكفى به جامعاً من غير فرق بين المذاهب الإسلامية وفرقها جميعاً»(١٢).

وجاء في صحيح عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام: بم يكون الرجل مسلماً يحل مناكحته وموارثته وبم يحرم دمه؟ قال عليه السلام: «يحرم دمه بالإسلام إذا

---

(١٠) الحلي: جعفر بن الحسن/ شرائع الإسلام ـ كتاب النكاح ـ لواحق العقد ـ المسألة١.

(١١) النجفي: الشيخ محمد حسن/ جواهر الكلام ج١٠ ص٦٨١.

(١٢) مغنية: الشيخ محمد جواد/ فقه الإمام جعفر الصادق ج٥ ص٢١٦.

ظهر ويحل مناكحته وموارثته»[١٣]، وعن القاسم الصيرفي شريك المفضّل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الإسلام يحقن به الدم، وتؤدى به الأمانة، وتستحل به الفروج، والثواب على الإيمان»[١٤].

وجاء في (فقه السنة) عن ابن حزم قوله: «أي مسلم ما لم يكن زانياً فله الحق في أن يتزوج أية مسلمة ما لم تكن زانية، وأهل الإسلام كلهم أخوة». كما نقل عن الشوكاني قوله: «اعتبار الكفاءة في الدين أصلاً وكمالاً، فلا تزوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر، ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمراً وراء ذلك، فإنه حرم على المسلمة نكاح الزاني الخبيث»[١٥].

خوف التأثير:

لأن أهل كل مذهب يعتبرون مذهبهم هو الحق والأصح، فإنهم يحرصون على تجنيب أبنائهم الأجواء والظروف التي قد تؤثر على التزامهم المذهبي، وهذا ما تشير إليه بعض فتاوى الفقهاء بعنوان خوف الضلال، أو

---

(١٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ وسائل الشيعة ـ حديث رقم ٢٦٣٣٣ـ كتاب النكاح.

(١٤) المصدر السابق/ حديث رقم ٢٦٣٣٧.

(١٥) سابق: السيد سابق/ فقه السنة ج٢ ص١٤٣ـ١٤٦/ الطبعة الثالثة ١٩٧٧م دار الكتاب العربي.

وجود محذور، يقول السيد الشيرازي في إجابته على سؤال: هل يجوز للمرأة الشيعية الزواج من الرجل السني؟ الجواب: «المشهور الجواز إلا إذا كان هناك محذور، كما لو عُلم بأنه يجبرها على التبري من أهل البيت عليهم السلام، أو أنه لا يسمح لها بأداء طقوسها وشعائرها المذهبية»(١٦).

ويقول السيد السيستاني: «يجوز زواج المؤمن من المخالفة غير الناصبية، كما يجوز زواج المؤمنة من المخالف غير الناصبي على كراهة، نعم إذا خيف عليه أو عليها الضلال حرم»(١٧).

ونقل ابن أبي قدامة الحنبلي في المغني عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: «لا يزوج بنته من حَرُورِي مرق من الدين، ولا من الرافضي، ولا من القدَرِيّ، فإذا كان لا يدعو فلا بأس»(١٨).

وقوله: «فإذا كان لا يدعو فلا بأس» إشارة إلى أن المنع هو للخوف من التأثير المذهبي.

---

(١٦) الشيرازي: السيد محمد/ أجوبة المسائل الشرعية ـ إعداد الشيخ جعفر الحائري ص١٣٢ مسألة ٤٦١.

(١٧) السيستاني: السيد علي الحسيني/ منهاج الصالحين ج٣ ص٧٠ مسألة ٢١٥.

(١٨) ابن قدامة الحنبلي: عبد الله بن أحمد/ المغني ج٩ ص٣٩٧ الطبعة الثانية ١٩٩٢م هجر ـ القاهرة.

فالمسألة مرتبطة بأجواء التعايش السلمي، والاحترام المتبادل، والمنع والتحفظات القائمة، هي بسبب العلاقات غير الطبيعية بين أتباع المذاهب، فإذا ما سادت الايجابية فلن يكون مبرر للمنع والتحفظات.

فئات مستثناة:

واستثنى فقهاء الشيعة بعض الفئات بتحريم التزاوج معهم، وإن كانوا يظهرون الإسلام، وهم:

١ـ الغلاة الذين يعتقدون في أحد من البشر بعض صفات الربوبية والألوهية، كالمغالين في الإمام علي أو أهل البيت إلى حد التأليه، فهم عند فقهاء الشيعة محكومون بالنجاسة والكفر.

٢ـ النواصب وهم المعلنون بعداوة أهل البيت عليهم السلام، وهذا لا ينطبق على أهل السنة الذين لا يقولون بإمامة أهل البيت وعصمتهم، ولكنهم لا يبغضونهم أو يعادونهم.

٣ـ الخوارج الذي يُعلنون بغض الإمام علي عليه السلام، أما الخوارج الذين ينتمون لمذهبهم دون أن يظهروا عداءً أو بغضاً لأهل البيت فهم محكومون بالإسلام. كما هو حال الأباضية في سلطنة عمان حسب ما نعرف عنهم*.

---

* دروس في فقه الأسرة ـ الدرس رقم ٢١، بتاريخ ١ ربيع الأول ١٤٢٢هـ.



التقريب بين أتباع المذاهب

في بادرة طيبة تستحق الشكر والتقدير، خصصت جريدة المدينة صفحتين كاملتين من ملحقها الأسبوعي «الرسالة»، بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ لمناقشة مسألة التقريب بين السنة والشيعة، وأشركت في بحث الموضوع علماء ومفكرين أفاضل سنة وشيعة من المملكة وإيران ومصر.

فمن المملكة:

- الدكتور الشيخ عبدالله بن بيّة عضو مجمع الفقه الإسلامي في جدة وأستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبدالعزيز.
- الدكتور الشيخ عبدالله العبيد الأمين العام السابق لرابطة العالم الإسلامي عضو مجلس الشورى السعودي حالياً.
- الشيخ عبدالله بن منيع عضو هيئة كبار العلماء في السعودية.

ـ السيد علي الموسى من فضلاء الحوزة العلمية في الأحساء.

ومن إيران:

ـ الشيخ محمد واعظ الخراساني الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران.
ـ الشيخ محمد يزدي رئيس مجلس القضاء الإيراني سابقاً عضو مجلس صيانة الدستور في إيران حالياً.
ـ الشيخ محمد مهدي الآصفي من أساتذة الحوزة العلمية في قم.

ومن مصر:

ـ مفتي الديار المصرية الدكتور نصر فريد واصل.
ـ الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي العالم والداعية المعروف.
ـ الدكتور محمد عمارة المفكر والكاتب المعروف.

وتأتي أهمية هذه البادرة من حساسية هذا الموضوع لدى الوسط الديني في المملكة، لذلك لم تكن الصحافة السعودية تتناول معالجته، إلا من خلال نقل وجهة نظر واحدة. ويبدو أن التطورات والظروف الجديدة هي التي شجعت طرح هذا الموضوع بجرأة علمية، وأسلوب موضوعي، يجمع آراء كل الأطراف، ويعالج المسألة بشفافية

ووضوح دون تشنج وتهريج.

وللإنصاف فإن مهرجان الجنادرية قد بادر إلى طرح الموضوع في السنتين الماضيتين، كما أن جريدة الوطن السعودية نشرت بعض المقالات الإيجابية في هذا السياق. ويأتي الآن ملحق جريدة المدينة ليكرّس هذا المنحى الموضوعي من الطرح والمعالجة لهذه المسألة الشائكة: العلاقة بين السنة والشيعة، في لحظة تشتد فيها حاجة الأمة إلى الوحدة، وفي ساحة طالما عانت من الحدة والتشنج المذهبي.

التقريب بين المذاهب أو الأتباع:

قبل خمسين عاماً تبنى عالمان مصلحان من السنة والشيعة موضوع التقريب بين المذاهب الإسلامية، هما الشيخ محمد تقي القمي من إيران، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر آنذاك، وتكونت في القاهرة مؤسسة رائدة في هذا المجال، باسم دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وقامت بدور تاريخي جيد، لكن نشاطها توقف لأسباب سياسية فيما بعد.. وقبل سنوات قررت القيادة الدينية في إيران تجديد النشاط والتحرك على هذا الصعيد، ضمن مؤسسة بعنوان «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية».

ومن وجهة نظري فإن عنوان التقريب بين المذاهب

الإسلامية ليس دقيقاً.

أولاً: لأن المذاهب الإسلامية هي متقاربة في أصولها وفي خطوطها العامة، حيث تتفق جميعاً على مرجعية الكتاب والسنة، وتؤمن بأصول مشتركة هي التوحيد والنبوة والمعاد، وتجمع على أركان الإسلام وفرائضه الأساسية، كالصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

والاختلاف بين المذاهب إنما هو في بعض التفاصيل والفروع، ضمن نسبة محدودة وهذا لا يعني التباعد. لكن المشكلة تكمن في ما حدث للأمة في عصور تخلفها، من التركيز على نقاط الخلاف المحدودة، وتجاهل مساحات الاتفاق الواسعة.

يقول الدكتور حسين علي محفوظ، وهو عالم باحث من العراق: اطلعت على كتب الفقه وقرأت مسائل الخلاف وهي «٤١٥٢» مسألة، من مجموع مسائل الفقه الكثيرة، التي تبلغ في بعض كتبه «١٦٠٠٠٠» مسألة، فلم أر مسألة في مذهب، ولم أجد رأياً عند طائفة، إلا قال به جمع من الفقهاء، أو قال بعض جماعة منهم، أو هو المروي عن قوم. ولقد حققت ما انفردت به بعض المذاهب، وما يظن انفرادها به فوجدته «٢٥٣» مسألة فقط من مسائل الخلاف بين المذاهب لا من مجموع مسائل الفقه.

وإذا قرأنا كتب الفقه والأحكام لوجدناها على منوال واحد تقريباً، بلغة فقهية مشتركة، متقاربة في الألفاظ والاشتقاقات[19].

فالمذاهب قريبة من بعضها ولا تحتاج إلى تقريب.

ثانياً: قد يثير هذا العنوان مخاوف وهواجس البعض بأن التقريب بين المذاهب يعني التنازلات المتبادلة بينها، والتخلّي عن بعض الآراء والقناعات، حتى تلتقي المذاهب عند نقطة وسط.

وقد أعلن البعض تحفظه على فكرة التقريب بين المذاهب انطلاقاً من هذا الهاجس.

ولا يبدو أن المطلوب من أحد أن يتنازل عن شيء من قناعاته الدينية المبدئية، في مسألة عقدية أو فقهية ضمن صفقة مساومة أو مجاملة.

وبالتالي فإن المذاهب ستبقى على توجهاتها وآرائها واجتهاداتها فماذا يعني التقريب بينها؟

الأصح أن يكون العنوان هو التقريب بين اتباع المذاهب والذين باعد بينهم ضعف الوعي بالدين، وأخلاقيات التعصب والتطرف، ووجود قوى مغرضة منتفعة من

(١٩) جواد: غانم/ نحو ثقافة التقريب بين المذاهب الإسلامية/ جريدة الحياة ٤ شعبان ١٤٢١هـ.

الخلاف، وتآمر الأعداء لتمزيق الأمة. ولكأنما عنى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هذه الحالة بقوله في إحدى خطبه: «وإنما أنتم إخوان على دين الله، ما فرّق بينكم إلا خبث السرائر، وسوء الضمائر، فلا توازَرُون ولا تَناصَحُون، ولا تباذَلُون ولا توادُّون»[٢٠].

ويبدو أن هذا هو المقصود بالتأكيد أي التقريب بين أتباع المذاهب، لكن العنوان لا يعبّر عنه بدقة ووضوح.

مسؤولية الخطاب الديني:

لقد تجاوزت الأمة الإسلامية والحمد لله الكثير من أخطار التمزق القومي، والصراعات القطرية، فهي وإن حصلت في بعض الأحيان، إلا أنها ضمن حدود مصلحية، لا أرضية لها في نفوس أبناء الأمة المتشبّعة بقيم الإسلام.

لكن الخطر الأكبر على وحدة الأمة اليوم يتمثل في الخلافات المذهبية الطائفية، لأنها تنطلق من أرضية دينية وفق فهم أصحابها للدين، ولأن لها جذوراً نفسية وتاريخية عميقة.

وهنا يأتي دور الخطاب الديني. فقد يقوم بدور توحيد الصفوف، ورأب الصدع، وتقريب أبناء الأمة إلى بعضهم على اختلاف مذاهبهم، من أجل مواجهة التحديات

---

(٢٠) الموسوي: الشريف الرضي/ نهج البلاغة- خطبة رقم١١٣.

المشتركة، والأخطار المحدقة بالدين والأمة، وتذكير المسلمين بالأصول الجامعة، والمبادئ الأساسية التي ينطلقون منها.

وذلك إذا كان هذا الخطاب صادراً من جهة واعية مدركة لأهداف الدين ومصالح الأمة.

وقد تؤدي بعض الخطابات الدينية دوراً سيئاً بالتركيز على قضايا الخلاف، و إشغال الأمة عن واقعها بقضايا جانبية، وأحداث تاريخية، وتعبئة جمهورها ضد الآخر المختلف مذهبياً، بإصدار فتاوى التكفير، وبيانات التبديع والتفسيق، وتصنيف المسلمين على أساس طائفي بغيض، والتمييز بين أبناء الوطن الواحد من منطلق الخلاف المذهبي..

لقد عانت الساحة الإسلامية كثيراً من تطرف وتشنج بعض الخطابات الدينية، والتي خلقت جيلاً من المتعصبين المتطرفين، الذين أساءوا لسمعة الإسلام، وأحدثوا الفتن والاضطرابات في مجتمعاتهم، وما يحصل في الجزائر وأفغانستان وباكستان، إنما هو نتاج وثمرة لمثل هذا التوجيه والخطاب المتطرف.

دعوة التقريب وكيف تنجح؟

انطلقت دعوة التقريب من مصر وإيران، وتجاوبت معها العديد من الجهات والقوى الإسلامية من مختلف البلدان، وقطعت شوطاً جيداً باتجاه أهدافها الخيّرة، لكنها لم

تحقق بعد النجاح المطلوب، ولم تصل إلى الغاية المرجوة.

وأعتقد أن المملكة العربية السعودية بما تمتلكه من ثقل دولي، ومكانة في العالم الإسلامي، وبما تتمتع به من إمكانات معنوية ومادية، تستطيع أن تقوم بدور كبير فعال، في إنجاح دعوة التقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية.

وقد كان للمملكة دور ريادي في لم شمل الدول الإسلامية ضمن منظمة المؤتمر الإسلامي، فعلى أثر محاولات الصهاينة لإحراق المسجد الأقصى بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، قامت المملكة بجهد كبير للعمل على انعقاد أول مؤتمر قمة إسلامي، تأسست على أساسه منظمة المؤتمر الإسلامي.

واليوم وحيث تشتد غطرسة الصهاينة المعتدين، وتتصاعد وتيرة بطشهم، متجاوزة كل الحدود والتوقعات، وحيث يخوض شعبنا الفلسطيني الصامد معركته المصيرية الخطيرة، ما أحوج الأمة إلى منعطف إيجابي يعزز وحدتها، ويرفع معنويات أبنائها و مجاهديها، ويوجه كل إمكاناتها وجهودها نحو إنقاذ القدس الشريف، وتحرير الأراضي المغتصبة.

وذلك يتحقق بإنجاز هذه الخطوة الوحدوية الكبيرة، لتأمين التضامن بين أبناء الأمة وشعوبها، وطي صفحة الخلاف بين أتباع المذاهب الإسلامية سنة وشيعة، وإغلاق

هذا الملف الأسود، خاصة وأن الأبطال الغيارى من أبناء السنة والشيعة يقفون على خط واحد في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، فتضحيات وانتصار الشيعة في جنوب لبنان، هو الذي أشعل فتيل الانتفاضة المباركة في فلسطين.

وكما كان للمملكة دور ريادي في جمع رؤساء الدول الإسلامية، فإنها مؤهلة للقيام بدور وحدوي جديد لجمع قيادات المذاهب، على أساس هدي الكتاب والسنة.

ونأمل أن تكون ندوات الجنادرية حول التقريب بين المذاهب الإسلامية، وما تنشره الصحافة السعودية من كتابات وتحقيقات في هذا الاتجاه، إرهاصات للقيام بهذا الدور الخطير.

ملحق

أفكار بشأن الحوار بين السنة والشيعة

للدكتور خليل بن عبد الله الخليل

الحوار سمة من سمات الحضارة القوية الأصيلة الحية، والإسلام دعا إلى (الحوار) مع (الآخرين) من غير المسلمين. فكيف بالحوار بين الطوائف والمذاهب الإسلامية، بل ذهب الإسلام ما هو أبعد من (الحوار) ألا وهو (الجدل) ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[٢١]، من هنا فالحوار نافع مفيد بين الطوائف والمذاهب والجماعات والأحزاب الإسلامية ما دام ملتزماً بآداب الحوار ومستلزماته وتقاليده الشرعية والعلمية.

أهداف الحوار المنشود:

أن تعرف كل طائفة ما لدي الطائفة الأخرى حسب الآراء الغالبة والظاهرة، أو المعتمدة إن أمكن.. بدلاً من التعرف على (الطائفة) من خلال الآراء

---

(٢١) سورة النحل ـ آية ١٢٦.

الشـــاذة والشـــائعة أو الآراء المســـتهجنة والمرجوحـــة. فمـــن خـــلال الحـــوار يتعـــرف (الســـنة) علـــى مبـــادئ وعقائـــد وأحكـــام إخـــوتهم أتبـــاع المـــذهب الجعفـــري، والشـــيعة يتعرفـــون علـــى مبـــادئ وعقائـــد وأحكـــام إخـوانهم مـن أهـل السـنة.. حسـبما هـو سـائد وراجـح وثابت عند كـل طائفـة في العصـر الـراهن.. مـع الحـرص علـى عـدم الإيغـال في محاكمـة التـاريخ.. أو الاحتكـام إليه.

البحث عن (القواسم المشتركة) بين السنة والشيعة.

تحديد أوجه الاختلاف بين السنة والشيعة في القضايا الأساسية... بدون الدخول في التفاصيل الفرعية، ومرجع هذا التحديد هو ما تقول به كل (طائفة) عن نفسها لا ما تقول به عنها الطائفة الأخرى لرواسب وأسباب تاريخية... صنعتها التقلبات السياسية والخصومات القبلية والإقليمية والمذهبية.

ليس من هدف (الحوار) إخراج أحد من الطائفة التي ينتمي إليها، أو بث الشكوك والإشاعات والبلبلة في الأمة، وإنما الهدف هو: أن يتعرف المنتمون لكل طائفة سنة أو شيعة على مبادئهم وعقائدهم وأحكام دينهم الأساسية.. بالأسلوب العلمي الحضاري.. ومقارنتها بما عليه إخوانهم من المسلمين في الطائفة الأخرى.

الحوار موجه للمسلمين وغير المسلمين.. ولذلك من المهم الالتزام بالمنهجية العلمية، والسمت العالي.. لتقديم نموذج نافع مؤثر حيّ يخدم قضية أساسية نحتاج إليها جميعاً، ألا وهي بث روح (التسامح) الذي دعا إليه الإسلام.

أخيراً:

ليس من أهداف الحوار (التقريب) بين المذهبين، وليس من أهدافه (التوحيد) بين المذهبين، وليس من أهدافه الحرص على (كسب الجدل والمناظرة) مع الغلبة على الخصم والتقليل من شأنه أو شأن طائفته التي يُعرف مشكوراً بها ويدافع مأجوراً عنها بالحق.. أبداً أبداً أبداً، فليس هناك غالب ومغلوب في هذا الحوار التاريخي الذي تبنته محطة (المستقلة) التلفزيونية في لندن.

الجميع كاسب والجميع غالب، والهدف من الحوار (التعرف) على الحقيقة من مختصين ينتمون لكل طائفة و (البحث عن القواسم المشتركة)، وإشاعة (روح التسامح) بين المسلمين على اختلاف ثقافاتهم وطوائفهم بعلم وبصيرة، ومحبة وتواضع، وحرص على الاحترام المتبادل، والوئام المنشود، وهذا كله يتم في إطار البحث العلمي الجاد، والسعي إلى صناعة (مناخ التعايش) الإيجابي المتَّسم بالاستقرار والأمن والازدهار.. عَلّ الجميع يُسهمون في بناء

النهضة المرغوبة التي تُسعد الشعوب، وتحفظ الحقوق، وتقمع العابثين، وتمنع الطامعين في مقدرات الأمة وأراضيها ومقدساتها ومبادئها.

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

د/ خليل بن عبدالله الخليل ـ الرياض
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية.
١٧ ذو القعدة ١٤٢٣هـ
الموافق ١٩ يناير ٢٠٠٣م